

محمد بيطاري

## شُومُ الأَرْضِ

إشْهَدِي مُرُورَ الجَوْفِ الفَارِغِ

عَلَى رُؤُوسِ الجِنَطَةِ السَّمْرَاءِ.

يَا ذَاتَ السَّمَاءِ:

نَحْنُ أَبْدُ العَالِقُونَ بَيْنَكَ والأَرْضِ،

وَلحَنِينِنَا جُذُورُ عَتِيقَةِ الأشْجَارِ

تَرْتَعِشُ كَارْتِبَاكَ الغَيْمِ

فَوْقَ أَخْضَرَ الاسْمَنْتِ.

أَنْ نُفَكِّرَ بِكَ، نَذْهَبُ إِلَيْكَ،

نَحَابِيكَ، وَنَحْنُ إِلَيْكَ،

وَنُعْطِيكَ دَمًا، وَأَطْفَالًا طَرِيِينَ كَالْعَنْبِ /

كَالْخَبِزِ السَاخِنِ.

أَنْ نُحْبِكَ؛ أَي تَغْتَصِبِينَنَا،

تَلْعَقِينَنَا كَمَا لَوْ أَنَّنا شَلَالَاتٌ /

هَبَّةٌ لَكَ وَحَدَاكَ.

أَنْ نُحِبَّكَ؛ أَيُّ أَنْ تُضْمِيَ كُلَّ مَنْ أَحَبَّبْنَا،

أَيُّهَا السَّارِقَةُ.

مَاذَا نَفْعَلُ؟

لِنُخْرِجَكَ مِنَ الْقَلْبِ

وَلِنَنْثُرَ زَهْرَ احْتِرَاقِكَ نَثْرًا.

مَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الْعَاهِرَةُ؟

مَاذَا نَسْمِيكَ حِينَ نَصِلُكَ؟

الخوف/

البداية/

الولادة/

النهاية/

الرحيل/

العقاب/

البقاء/

الهدوء/

الضجيج/

الأمل/

البراعم/

البكاء/هل نسميكِ البكاء؟

وإن لم نسمك؟

من ستكونين؟

منُ يسمِّيكِ؟

وما هو نصيبنا منك؟

كيف ندعُ أصابعنا تُشيرُ إليكِ

والعيون مغمّضة؟

طوي لكِ،

سنغنيكِ ونلحنكِ بأطفالٍ مُتفحّمين،

وبآخرين غرقى،

بنساءٍ حلّمنَ بوسائدَ نظيفةٍ للنوم،

وبرجالٍ قُتلوا بأيديهم.

\*\*\*

إشهدي مُرورَ الجوفِ الفارغِ

على رؤوسِ الجنطةِ السمرء.

يا ذاتَ السماءِ:

نحنُ أبدُ العالقين بينكِ والأرضِ،

ولحنيننا جذورُ عتيقةِ الأشجارِ

ترتعشُ كارتباكِ الغيمِ

فوق أخضرِ الاسمنت.

أصغيتُ إليكِ في العتمةِ

فلم أعثرُ سوى على كلابٍ/ذئابِ

تعوي عواءً

أكثرُ ممّا تتحمّلهُ حناجرها

أكثر انزلاقاً من الضجيج إن هوى.  
أيتها الحناجرُ الحاويات للفضاء الواسع  
يا بردَ الصدى والأنين.  
أيتها الداميةُ على سفوحِ جبالِ الريحِ  
حيثُ الخيالُ لا يُنبِتُ سوى عيونِ  
سوداءَ محدقةٍ للأعلى.  
ازحمي المدى ولو قليلاً  
من انعكاساتِ صوتكِ الرخيم  
على نُحُومِ الساحاتِ المُحتشدةِ  
بالراياتِ المنكوسةِ  
والأيادي المَقْطُوعَةُ من معاصمها.  
أصغيتِ إليكِ في العتمةِ  
فلم أجدُ وجوهَ/  
ينابيع/  
نجومَ/  
بلابلَ/  
ألوانَ/  
أحلامَ/  
أفراحَ/  
أسماءَ/  
أسرارَ/

أيتها الدّامية

إن حركتِ يُمناكِ، قتلْتُكِ

إن حركتِ يُسراكِ، قتلْتُكِ

وإن مالتِ الأزهار مُتَعَطِرسَةً في فُلكِكِ

أَعَدَدْتُ جُيوشًا من نَمَلٍ

خَصَّ ذَاكَرَتِكَ.

\*\*\*

كيف لكِ

لو تستطيعين الكلامَ

كيف لكِ

بعدُ كلِّ هذه الكتبِ المنثورة بالدماءِ

أن تنادي السواقي، والأشجار،

الهداهد، والعناكب المتعبة من نسجِ

البيوت المقدّمة قريانا

لمطاحن الغرباء؟

ألا ترتجفين؟

ألا يكفيكِ تشنجات دود القرزِّ

في مخابئها؟

ألا يكفيكِ أن كلَّ من دخلك

أصبحَ ملكًا،

وكلَّ من عاش فيك،

ماتَ مقهورًا،

يا مقبرةَ أبنائكِ المشؤومة!!!

\*\*\*